

تمهيد

لهذا الكتاب أبعاد عدة. إنه قبل كل شيء كتاب موجه لأولئك المهتمين بالعملية الأكاديمية، بشقيها المائلين في التدريس والتعلم، في التعليم العالي. ويركز الكتاب على خبرات التعلم عند الطلاب، ويربط الأفكار التي تقدمها البحوث بخبرات التدريس لدى المدرسين في التعليم العالي. ومن هذا المنظور يمكن القول إن الكتاب يتمم رسالتي الاتجاهين اللذين يحظيان اليوم بالقدر الأكبر من الاهتمام والرواج بين النصوص المعنية بالعملية الأكاديمية في التعليم العالي، ويمد الجسور بين هاتين الرسالتين. يتضمن الكتاب توسيعاً لبحوث تعلم الطلاب، التي يسوقها رامسدن، بغية إيضاح ودعم رسالة كتابه «تعلم التدريس في التعليم العالي» (رامسدن، 1992)، ويربط بين النظرة الموجهة نحو التركيز على التعلم، والتي يتبناها مارتون في كتابه «خبرات التعلم» (مارتون وآخرون، 1997) من جهة، وخبرات أساتذة الجامعة في التدريس، من جهة أخرى. ويضع الكتاب بين يدي أستاذ الجامعة منهجاً جديداً في التدريس، ودليلاً لتطبيق الأفكار المعرفية في التعليم الجامعي.

ورغم أن الكتاب يشاطر الكتابين المذكورين أعلاه في وجهة النظر ذاتها، فإن رسالته تختلف عن رسالتي سابقيه في التأكيد أن الطريق إلى الأمام يتجسد في التركيز على حالات التعلم والتدريس، مع الحفاظ على جودة التعلم. وهذا لا يعني على الإطلاق أننا نقلل هنا من أهمية جودة التعلم، وسوف ترى في قراءتك للكتاب أننا لا نشك في أن جودة التعلم تمثل الهدف الأسمى والأهم للعملية الأكاديمية برمتها، كما قد توضح وثبت من خلال العديد من الأعمال السابقة، كالكتابين اللذين أتينا على ذكرهما سابقاً. ونعتقد بوجود حاجة ماسة مع الأمل أن نوفق إلى تقديمه هنا، هو الطريق إلى تحقيق ما نطمح إليه لتحقيق تلك الجودة. ويقوم منهجنا على مناقشة العلاقات التي تربط مختلف جوانب خبرات التعلم عند الطلاب ببعضها ببعض.

تتضمن هذه الجوانب إدراك الطالب لحالة التعلم التي يعيشها؛ ومنهج في التعلم؛ وخبراته السابقة في التعلم؛ والمخرجات التي يجنيها من التعلم. وفي دراستنا لتلك العلاقات نستند بقوة إلى الأفكار التي يقدمها مارتون وبوث في كتابهما الجديد «التعلم والوعي» (مارتون وبوث، 1997).

كذلك فإن الكتاب موجه أيضاً إلى المهتمين باستكشاف المبادئ التي تقوم عليها طرق التدريس المختلفة، بما في ذلك التعليم عن بعد؛ والتدريس في محيط تنوع الثقافات؛ وكذلك استخدام التقنيات الحديثة في التدريس. ويتعلق محتوى الكتاب بما تقدمه لوريلارد في كتابها «إعادة النظر في التدريس الجامعي: الإطار المناسب للاستخدام الفعال لتقنيات التعليم» (لوريلارد، 1993)، غير أن توجهات هذا الكتاب أكثر عمومية واتساعاً.

وأخيراً: فإن هذا الكتاب موجه إلى أساتذة الجامعة الراغبين في تطوير وإضافة عناصر البحث لنشاطاتهم التعليمية. فالكتاب لا يكتفي بتقديم أهم وأحدث ما توصلت إليه بحوث التدريس والتعلم، مستعرضاً في ذلك لا النتائج فحسب، وإنما المنهج والطرق أيضاً في كثير من الأحيان، بل يتضمن أيضاً الكثير من التفاصيل حول الأسئلة والطرق التي من شأنها أن تقدم للأساتذة الباحثين فائدة مباشرة في سعيهم إلى استكشاف واقع العملية التدريسية التي يديرونها. ومن المظاهر المميزة للكتاب، ولجملة الأمثلة البحثية التي يسوقها، فإنه ينظر إلى نتائج البحوث الكيفية والكمية على أنها تكمل بعضها بعضاً من حيث الطرق والنتائج. وكلا النوعين ساهم في تطوير أفكار الكتاب بشكل لم يكن ليتسنى لنا على الإطلاق، لو أننا اقتصرنا على أحد النوعين دون الآخر.

ويقدم الفصل الأول لمحة عامة عن هذه البحوث وعن الكتاب. ويقوم هذا الفصل بتصوير المشهد الذي تدور فيه أحداث العملية التدريسية، موجهاً الاهتمام بشكل خاص نحو ظاهرة التباين بين الطلاب في تعاملهم مع مسألة التعلم. كما يقدم أيضاً مؤشرات واضحة للاتجاهات العريضة التي سنسلكها في سعيينا إلى تطوير عمليتي التعليم والتدريس. ويهتم الفصل الثاني بعرض وتوصيف النموذج النظري والذي

يربط جوانب التباين المختلفة بعضها ببعض، على امتداد فصول الكتاب. ونعرف في هذا الفصل ما نعنيه في استخدامنا للمفاهيم الأساسية: الخبرة؛ التباين؛ الوعي؛ المقدمة/الخلفية؛ والرؤية ذات الصلة. ويوضح هذا الفصل أيضاً بإيجاز، الطيف العريض الذي يضم وجهات النظر المختلفة حول التعلم والتدريس في التعليم العالي على المستويين البحثي والتطبيقي.

وتتشابه الفصول 3 - 6 في بنيتها. ويستقل كل من هذه الفصول بذاته، لكنه في الوقت نفسه يبدي بنية قائمة على علاقة من النمط «مقدمة وخلفية»، بين جوانب النموذج المختلفة، حيث يحتل الجانب الذي يمثل موضوع الفصل موقع المقدمة، بينما تشكل الجوانب الأخرى الخلفية الطبيعية للنموذج، التي تساعد على إبراز معالم ذلك الجانب ودوره. ويستعرض كل من هذه الفصول بحوث تعلم الطلاب التي تهتم بالجانب الذي يركز عليه الفصل، ويناقش أهم المبادئ التطبيقية التي تقدمها نتائج تلك الأعمال البحثية لواقع العملية التدريسية. ويختتم كل فصل باستعراض بعض الأمثلة للنشاطات البحثية ضمن إطار الصف، والتي توضح تطبيق تلك المبادئ.

ويركز الفصل 7 على التدريس، حيث يستعرض أحدث البحوث التي تعنى بخبرات التدريس، محاولاً الربط بين تصورات الأستاذ لماهية التدريس، وإدراكه لحالة التدريس التي يعيشها، ومنهجته في التعليم مع طرق تعلم الطلاب.

وفي الفصل الأخير من الكتاب نقوم بجمع الرسائل المختلفة التي تقدمها الفصول السابقة، ونوجز انعكاسات ما طرحناه من أفكار وما خلصنا إليه من نتائج ومبادئ على صعيد تعلم الطلاب، والتدريس، والتطوير الأكاديمي في حقل التعليم العالي.

مايكل بروسر

كيث تريغويل



obeikandi.com

شكر وتقدير

لقد ساهم أشخاص كثيرون بطرق متنوعة في فكرة هذا الكتاب وتطوره. ولقد كانت عملية جمع الأفكار وتسيقها ونتائج البحوث التي ستتعرف عليها في فصول الكتاب، تراكمية امتدت على حقبة طويلة من الزمن. أما مصادر الإلهام فكانت كثيرة ومتنوعة، تضمنت فيما تضمنته ملاحظات زملاء والأصدقاء، كما تضمنت أيضاً الكثير من النقاشات الممتعة المثيرة والمحفزة، الرسمية وغير الرسمية. وتلقينا الدعم الفكري والمالي والمعنوي لجمع تلك الأفكار بعضها إلى بعض، كما تلقينا أيضاً الدعم اللازم للوصول بتلك الأفكار إلى الشكل الذي آلت إليه في صورة الكتاب الذي بين أيديكم. وعلى العموم فقد ارتأينا توزيع الأشخاص الذين نود هنا أن نشكر ونقدر لهم مساهماتهم في تطوير هذا الكتاب ضمن مجموعات ست.

المجموعة الأولى: تضم الباحثين والأساتذة، الذين تعاونوا معنا من خلال وضعهم أفكارنا، وبعضاً من أفكارهم الذاتية، موضع الاختبار العملي ضمن بيئة تدريس حقيقية على أرض الواقع. وقد اشتركنا مع الكثيرين منهم في إعداد العديد من نشرات أوراق البحث، وبعض تلك الأوراق مشار إليه في الكتاب، في عدة مواقع من الفصول القادمة. هؤلاء هم: جين بلاكويل، كريس كوب، كاثرين كراوفورد، جين ديفي، مارك غارنر، سو غوردون، مايكل جاكسون، روزماري ميلار، جيكي نيكولاس، آنا رايد، كارين سكولار، يان سيفتون، ريه سليت، فيليب تايلور، باول ووكر، وكارولان ويب.

ثم هناك مجموعة الدعم الأسري: تولت كاي نولان مهمة تسيق فهرس المصطلحات، ورافقتنا جنباً إلى جنب مع كل من أولمبيا وإنغريد ووكر، في رحلتنا الشيقة عبر محطات الكتاب، وقدمت ملاحظاتهم حول مسودات النص، وتحملن ما أفسدناه عليهن من أيام العطل، كما تحملن معنا أيضاً أياماً صعبة أمضيناها في محاولات غير موفقة للتقدم في صياغة فقرات الكتاب.

ولقد ساعدنا ديفيد بود والخوض في هذه المغامرة، والتقدم إلى الناشر المناسب. وهو واحد من أفراد مجموعة البحث، التي تضم أيضاً الزميلات والزملاء: جون باين، جون بيغس، شيرلي بوث، جون بودن، غلوريا دال ألبا، نويل إنتويستل، إيلين مارتين، فيرينس مارتون، إيريك ماير، باول رامسدن، ويورغن سانديبرغ، الذين كانوا جميعاً مورد إلهام لا ينضب. طرحنا أمامهم أفكارنا، وناقشناها معهم، استعرنا منهم أفكاراً جديدة، وتعلمنا منهم الكثير.

كما قدمت زميلاتنا وزملائنا في العمل، هيلين إدواردس، دينيس كيركباتريك، بريان لو، جيكي لابلين، جوماك كينزي، إيريكا مارتس، أنا رايد، وفيونا ووترهاوس، هامشاً من الحرية، وبعض الدعم الأكاديمي، وبعض الملاحظات والتوجيهات القيمة. وفيما يخص طباعة الكتاب، نشكر للسيد جون سكيلتون والسيدة ليندا ووتكنس من دار النشر أوبن يونفيرسيتي صبرهما وسعة صدريهما، عبر كفاحنا الطويل مع مواعيد التسليم، كما نشكر لدار النشر ما قدمته من دعم، بعد أن تمكنا في نهاية المطاف من تسليم النص.

وأخيراً نشكر السادة أعضاء المجلس الأسترالي للبحث العلمي (1988-1998)، وكذلك السادة المحكمين الذين استعان بهم المجلس، على تكريمهم بتقديم الدعم المالي السخي والمنتظم، الذي أتاح لنا إمكانية إجراء القسم الأعظم من البحوث التي يعتمد عليها الكتاب. كما نشكر أيضاً جميع الطاقات البشرية التي ساعدتنا، بتمويل كريم من المجلس، في إتمام تلك المشاريع البحثية.

